

الحرية سقيا الإبداع والتقدم

ها هي الشعوب أرادت الحياة، وها هي القيود تنكسر والليالي تنجلي، إنها سنة الله في كونه، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وعندما صدق العزم وفاض الكيل جاء التسديد والتأييد من مالك القوى والفُدر واستجاب الفُدر وانكشفت الكروب.

العرق العربي الذي تربى على عزة النفس والنخوة والكرامة منذ قرونه الأولى، والذي كان يرى كما يصور شاعرنا القديم أننا لنا الصُدْر في العالمين أو القبر، هذا العرق العربي الأصيل مازال نابضًا في أجيالنا الحاضرة التي لم ترضِ الذل والاستعباد، ورأت أن الصبر إذا طال أمده استمرأ الظالم ظلّمه وعات في الأرض فسادًا وتمدد واستشرى، فكان أن نهضت الشعوب الهادرة لترد ظلم الظالم عليه وتذيقه عاقبة أمره خسرًا.

لما فقدت الشعوب حريتها على مدى عقود، أحست بفقدان السيطرة وعدم القدرة على التحرك والاكتشاف والإنجاز والإبداع، وتأخرت عن ركب التقدم في العالمين، ذلك أن للإنسان بطبيعته البشرية حاجات أساسية إذا فقدتها فقد نفسه وقدرته على التنمية والبناء، ومن أوليات تلك الحاجات ما يسمى الحاجات الاجتماعية، ومنها الحرية والتحرر من قيود الفكر والابتكار وكل ما يحد من قدرة الإنسان على العمل.

صرنا والحالة هذه نتسول منتجات وإبداعات الآخرين وجدوا الفرصة متاحة في بيئاتهم المجتمعية التي تشجع الانطلاق والتفكير والابتكار، وامتدت آثار هذا الواقع إلى ما هو أبعد من الحياة الاجتماعية والعلمية، فكانت آثاره المدمرة والمهلكة في النواحي الاقتصادية والسياسية، وأصبحنا مسوخ أمم ساقطين من الأنظار غير مأخوذون في الاعتبار عند إبرام أي من الأمور على المستوى الدولي، وأصبحت تسيطر علينا مشاعر الانهزامية وفقدان الثقة وفقدان الهوية والتنافسية البيئية دون وجود أي قدر من الرؤية والطموح لبناء الغد في ظل واقع مظلم مرير لا يظهر فيه بصيص ضياء.

اليوم وقد بدأنا نتحسس خطواتنا بعد نجاح ثوراتنا العربية في كشف الظلمات، بدأت المبادرات العلمية والبحثية في الظهور والتحرك بخطوات فعلية للإنجاز، وبدأت العقول تعمل بكامل طاقتها كلٌّ يفكر في كيف نصنع غدًا أفضل وكيف نمر بالمرحلة الانتقالية بسلام ونجاح يمهد لبناء مستمر ... اليوم انفتحت آفاق التفكير والإبداع دون قيود أو مؤثرات خارجية أو محددات سياسية وسيطرة وهيمنة مغرضة، فالكل يفكر ويعمل في اتجاه واحد ألا وهو بناء الوطن وتنمية الوطن وإصلاح الغد الذي ينتظر إليه الجميع ويبدو في الأفق البعيد مشرقًا زاهرًا يبشر بخير لكل ساعٍ مُجد.

هكذا فالإنتاج والبناء يكون دائمًا رفيق الحرية والتمكين، وما كانت الممانعة والقيود يومًا إلا عائقًا أمام الإبداع والتقدم. الشعوب العربية اليوم وقد تملكتم زمام أمرها هي أمام اختبار للذات، فعليها أن تثبت لنفسها أنها قادرة على بناء المستقبل الذي تستحقه أمة بعراقة وعظم وسعة الأمة العربية الواحدة المتحدة عزيزة النفس قوية الجانب. وثقتنا أننا قادرون بعون الله على المضي قدمًا لعبور المفترق الشائك الذي نمر به حاليًا لنصل إلى بر الأمان ونبني غدًا أفضل. وما قويت الأمم ولا ضعفت ولا سعدت ولا هبطت إلا بقدر تمسكها بأصولها وثقتها في أصالتها، فكما ازددنا إيمانًا وثقةً سنكون كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين إنتاجًا وعلمًا واكتشافًا وابتكارًا وتقدمًا بإذن ربها. وعلينا أن نحذر كل الحذر من الانزلاق في مزلق التبعية والتقليد التي لن تقود إلا لمزيد من التأخر وفراغ القلوب وضياح هوية الأوطان.

والله الموفق والمعين لنا جميعًا فيما نستقبل من أيام ونصنع من أمجاد.

م/ رانيا المغربي

استشاري إدارة المشروعات، مصر

Rania@onewayforward.info